

تيمات الشعرية عند مدرسة البعث والإحياء

- محمود سامي البارودي وأحمد شوقي أنموذجا -

the poetic themes at the school of resurrection and revival
Mahmoudi Sami Al-Baroudi and Ahmed Shawki as a model

د. بايزيد مهديد*
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة الجزائر
baizid.mahdid@univ-msila.dz

د. ناصر محمد الحسني تيس
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة الجزائر
nassermohammedelhassani.tis@univ-msila.dz

الملخص:

معلومات المقال

تاريخ الارسال:

2021/05/30

تاريخ القبول:

2021/10/10

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الشعر:
- ✓ الإحياء:
- ✓ التقليد:
- ✓ التراث:
- ✓ المحافظة:

لقد عرف العرب قديما إنتاجا غزيرا للمادة الفنية خصوصا في مجال الشعر، فقد كان للعرب دواوين ومختارات شعرية، لكن ما لبث هذا طويلا فقد عرف الإنتاج الفني ركودا وهو ما عرف بالأدب في عصر الانحطاط والضعف، وفي العصر الحديث وخصوصا في أواخر القرن التاسع عشر (19) أحس أدباء العرب بضرورة التغيير والنهوض بأدب يرقى ويتساوى مع الآداب الأخرى، فظهرت نهضة سميت بالنهضة العربية أو الأدب في عصر النهضة.

ونحن في هذه الورقة البحثية سنحاول معرفة حقيقة الاتجاه المعروف بمدرسة الإحياء والبعث، وأهم التحولات التي طرأت على شعرنا العربي في هذه المرحلة، وذلك من خلال تتبع أهم الخصائص التي أتى بها شعراء هذه المدرسة.

Abstract :

Article info

The Arabs have known a rich production of artistic material, especially in the field of poetry, as the Arabs had books and poetic anthology, but soon after this, artistic production stagnated, which was known as literature in

Received
30/05/2021
Accepted
10/10/2021

the era of decadence and weakness, and in the modern era, especially in the late nineteenth century (19) Arab writers felt the need to change and promote literature that was equal to other literature, and a renaissance called the Arab Renaissance or literature emerged in the Renaissance.

In this research paper, we will try to find out the truth about the trend known as the School of Revival and Resurrection, and the most important transformations that have taken place in our Arab poetry at this stage, by tracking the most important characteristics that the poets of this school have come up with.

Keywords:

- ✓ poetry.
- ✓ revival.
- ✓ tradition.
- ✓ Heritage.
- ✓ conservatism.

1. مقدمة:

عرف الشعر العربي في العصر الحديث مدارس وتيارات واتجاهات عدة ظهرت بشكل متعاقب منذ بداية النهضة، لذلك فإنَّ عصر النهضة الأدبية شكَّل تاريخاً مفصلياً في تاريخ الشعر العربي ككل، وعاملاً مهماً في انبثاق النهضة الأدبية في العصر الحديث، وهكذا يتضح لنا أنَّ كل مقارنة للشعر العربي في العصر الحديث وبشكل خاص تلك التي تهتم بالمدارس الشعرية الأولى وتحديدًا مدرسة الإحياء.

وظهرت في العصر الحديث مدارس شعرية عربية متعدّدة افتتحتها مدرسة الإحياء والبعث، ثم جاءت ما يعرف بالمدارس الأدبية مثل الرومانسية، والواقعية، والرمزية، وبعدها هذا كلّ اتجه الشعر العربي في التجديد إن على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون.

وللوقوف عند هذه الحقيقة لا بدّ من طرح مجموعة من التساؤلات التي ميّزت هذه المرحلة، والتي تمثّلت أساساً في:

- كيف كانت الحركة الشعرية العربية لدى شعراء مدرسة البعث والإحياء؟
- وهل بقي الشعر على حاله؟ أم طرأت عليه إضافات عند شعراء هذه المدرسة؟
- وما هي أهم العوامل التي أسهمت في قيام النهضة الأدبية؟
- وما هي أهم الصفات الفنية والجمالية التي شكّلت هذا الشعر؟

2. تعريف مدرسة البعث والإحياء (الكلاسيكية)

لقد أطلق النقاد على هذه المدرسة عدة تسميات متوازية، وكلّها تصب في قالب واحد ومنها:

1.2 مدرسة الإحياء:

إنَّ الشاعر البارودي ومن يعاصره ومن أتى بعده هم الذين أعادوا للشعر العربي حياته من جانب معاينة في سائر أحوال حياة الإنسان ومن جانب بنائه الفني فجددوا في الصياغة ونهجوا منهج كبار شعراء العربية (الأدب العربي الحديث: مسعد بن عيد العطوي، 2009، ص 67).

البعث:

مدرسة البعث لأنها بعثت الحياة في الشعر من جديد.

2.2 الاتجاه المحافظ:

سعي هكذا لأنه حافظ على عمود الشعر وعلى الأوزان والقوافي وعلى قوة المبنى والمعنى، وعلى الصور العربية القديمة وعلى سلامة اللغة وأكثرها من البيان البلاغي (الأدب العربي الحديث: مسعد بن عيد العطوي، 2009، ص 67).

2.3 الكلاسيكية:

تحافظ على السالف، وتحافظ على العقلانية والالتزام بالعروض والقافية ومنهج أسلافهم، وأطلق اسم الكلاسيكية أيضا على الأعمال الفنية التي امتازت بالمثالية والكمال ويشارها إلى تلك الفنون القديمة اليونانية والإغريقية وما سار على نهجها وحاكى أصولها وذلك لأن تلك النماذج الفنية الإغريقية كان قد راعى فيها صانعوها الدقة وسعوا للكمال في تصميمها، ولذلك فإن الكلاسيكية الفنية كانت قد نبذت العواطف والانفعالات في الأعمال الفنية على اختلاف أنواعها، كما أن أصحاب هذه المدرسة قد أخذوا يصورون الوجوه في منحوتاتهم ورسوماتهم بجعلها متزنة ورصينة وواضحة لتكون أقرب للواقع (من مدارس الرسم ومذاهبه - فن البلاط - مقالات مختلفة: صالح بن أحمد الشامي، دت).

2.4 التقليد:

احتذوا حذو القدامى في بناء الشعر، والصور والأخيلة والالتزام بعمود الشعر ولم يأتوا بجديد، وقد بدأت هذه المرحلة ببداية التنوير الفكري للحياة و النهضة الحديثة لتنقل الأمة من الركود والظلام إلى حياة حديثة ذات نهضة قوية شاملة.

حيث يطلق اسم مدرسة البعث والإحياء على مذهب أدبي ظهر في العصر الحديث أخذ فيها الشعراء على عاتقهم الالتزام بنظم الشعر على الشعر القديم (مدرسة الإحياء سامي البارودي: زينة غنى عبد الحسين الخفاجي، دت). سميت أيضا بالمدرسة المحافظة أو مدرسة المحافظين، وقد ظهرت كردة فعل على الحالة الأدبية التي آل إليها الشعر العربي في العصر الحديث، حيث أخذ بالانحطاط والتراجع بعد نهضته الأولى، وأصبح الشعر وسيلة للتكسب والتسلية، فظهر مجموعة من الشعراء استيقظت فيهم المشاعر الدينية والوطنية والاجتماعية التي مُزجت بالأساليب الثقافية الجديدة واتخذ هؤلاء الشعراء مدرسة من مدارس الشعر العربي التي ظهرت مشابهة للمدرسة الكلاسيكية لدى الغرب (مقارنة بين خصائص مدرستي البعث والإحياء والرومانسية، حوارات أدبية: محمد حماني، دت).

وأطلق النقاد عليها تسميات متوازنة، منها مدرسة الإحياء لأن الشاعر البارودي ومن يعاصره ومن أتى بعده هم الذين أعادوا للشعر العربي حياته، وفي عصر النهضة بعد أواخر الانحطاط الذي عرض شكل تاما لجميع الميادين، وعرف الشعر بعثا ليساير متطلبات الذات الشعرية في التعبير عن قضايا العصر.

كان الشعر العربي في أواخر عصر الانحطاط فقد كل عناصر قوته وحيويته لابتعاده في سبيل الإبداع والابتكار، وركونه إلى التقليد وترديد الصور البيانية والمعاني الموروثة في السلف، كالبحتري وأبي تمام والمنتبي، واقتصره على بعض الأغراض التي تأتي مع المناسبات من مدح وثناء وهجاء (مدارس الشعر الحديث: محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 11)، ولقد أفصح البارودي عن الوظيفة التعليمية عندما وصف شعره بأنه ديوان أخلاق (حركات التجديد في الأدب العربي: جابر عصفور، 1975، ص 146).

3. نشأة مدرسة البعث والإحياء:

هي المدرسة الاتباعية، ورفت بمدرسة البعث والإحياء الكلاسيكية؛ لأنها أعادت الحياة للشعر الكلاسيكي العربي التقليدي بأغراضه وصياغته وأساليبه اللغوية (المصطلح في الأدب الغربي: ناصر الحاني، 1968، ص 121).

ومن أهم رؤاد مدرسة البعث والإحياء محمود سامي البارودي، وأحمد محرم، وأمير الشعراء أحمد شوقي، وبشارة خوري وغيرهم، فهؤلاء الشعراء أعادوا بعث جسد الشعر العربي القديم أيام ازدهاره، واستطاعوا أن يكتبوا في بدايات العصر الحديث شعرا تقليديا كلاسيكيا بأغراضه وأساليبه وجملته وبحوره، بيد أنهم اختلفوا في ثقافتهم وأغراضهم الشعرية بشكل فردي، فالمدح النبوي والشعر المسرحي الذي كثر عند أحمد شوقي لم يكن موجودا عند غيره على سبيل المثال، وبالمقابل هناك أغراض أخرى وجدت عند شعراء البعث والإحياء ولم يتطرق إليها شوقي.

وأما بالحديث عن سبب تسميتها بمدرسة البعث والإحياء فإن اسم الإحياء عائد إلى أن شعراء هذه المدرسة أعادوا إحياء الشعر العربي القديم، وأعادوا إحياء بنائه الفني مجددين في صياغته وناهجين منهج شعراء العرب الكبار من امرئ القيس حتى المتنبي، وأما اسم البعث فهو عائد إلى كون هذه المدرسة بعثت الحياة في الشعر العربي الكلاسيكي من جديد فقد حافظت على عمود الشعر وعلى القوافي والأوزان وعلى سلامة اللغة والبلاغة في القصيدة (مدرسة الإحياء سامي البارودي: زينة غنى عبد الحسين الخفاجي، دت).

4. خصائص مدرسة البعث والإحياء:

ومن هنا وبفضل الجهود المبذولة من الشعراء فقد تميزت مدرسة الإحياء والبعث بعدة مقومات وخصائص فنية منها:

- العودة إلى المورث الشعري، ومجارة القدامى في تقاليد القصيدة، بانتقالها من غرض إلى آخر، والافتتاح بالنسيب وما يمر به الشاعر، مما يجعل القصيدة متنوعة الأغراض.
- قيام القصيدة على وحدة البيت والمحافظة على الأوزان والقافية، بحيث يكون البيت وحدة مع بضعة أبيات مستقلة عن سائر أبيات القصيدة.
- العناية بالأسلوب وبلغته وروعة التركيب وجلال الصياغة الشعرية وهئتها وانتقاء اللفظ واختياره، مما جعل الجانب البياني يتغلب أحيانا على المضمون الفكري والمعنى الشعري.
- متابعة القدامى في موضوعاتهم من مدح، رثاء وغزل، وفخر... الخ.
- اقتباس المعاني، والاهتمام بالأخيلة، والصور، والموسيقى، على نحو الشعراء القدامى من ذكر الرسوم والأطلال والخيام والكثبان، والرعيان، والقبائل واستعارة الألفاظ من الشعر القديم كعيون المهن، وملاعب الآرام وغيرها.
- تعدد المجالات (السياسي، الاجتماعي، المجال الأدبي الوجداني المتعدد والفردى كالرثاء والمدح).
- ظهور شخصية الشعراء مع اختلاف في مدى ذلك بين شاعر وشاعر آخر.
- غلبة الجانب البياني على المضمون الفكري والمعنى الشعوري.
- نسق الأفكار مرتب، وحملت كذلك سمات الإقناع الوجداني.
- مجارة فحول الشعراء في الانتقال من غرض إلى غرض، الافتتاح بالنسيب والغزل ووصف ما يمر به الشاعر في طريقه.
- عدم اكتمال الوحدة العضوية في هذه المدرسة، فالبيت لا يزال يمثل وحدة مستقلة في القصيدة.
- مخاطبة شخص آخر لا وجود له في مفتتح القصائد كما في قول شوقي "قم في فم الدنيا" - ظهور المسرحية الشعرية على يد أحمد شوقي.

- التعابير الجزالة ومتانة السبك والصحة اللغوية

5. عوامل الإحياء:

يقوم الإحياء على عناصر عديدة هي كما يأتي: (الأدب العربي الحديث: مسعد بن عيد العطوي، 2009، ص 67).

- الحركات الإصلاحية الحديثة مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد بنت دولة وأوجدتها قوية ولها تأثير في الجزيرة العربية.

- لما بدأت الحملة الفرنسية كانت وسيلة من وسائل التواصل بالحضارة الغربية.
- اشتداد الصلة بالثقافة الحديثة عن طريق البعثات وعن طريق المستشرقين والصحافة.
- بدأ إحياء التراث.

- قيام مؤسسات ثقافية مثل المطابع، والصحافة: (الوقائع المصرية، ونزهة الأفكار، الجوانب للشدياق).
- هجرة عدد كبير من نصارى الشام إلى مصر وإنشائهم مراكز لهم.
- الثورة الوطنية لأحمد عرابي.
- معالم النهضة الحديثة في الشام والعراق التي دعا إليها بعض الباشوات مثل مدحت باشا. وتأسست فيها بعض الصحف مثل: الزوراء في العرق، وسوريا في دمشق.
- 6. مراحل تطور الشعر الإحيائي:

لقد قدّمنا سابقاً أن البارودي استطاع أن يستشف من اللغة العربية أسلوباً مشرقاً وطريقة جديدة في الشعر، عاد بها إلى مرحلة النضج الشعري، وبعد أن خطى الأدب خطوات واثقة نحو التقدم والتطور، أصبحت هناك ما يسمى بمرحلة التطور والرقى والتي من أهم عناصرها:

1.6 ظهور اليقظة الفكرية:

وجد العرب أنفسهم أمه أمية، والتعليم كان قليلاً ومحصوراً في المدن، وكان يميل إلى الجمود وتكرار السابق. ولما بدأ التواصل مع الغرب والنزاع الداخلي مع الدولة العثمانية وكان العرب يتمنون أن يكون هناك نداء ينادي إلى التجديد، وكانت طبيعة الشعراء ترنوا إلى ذلك، إذ الشاعر مرهف الإحساس يحس بنسمات الخير التي تقدّم من بعيد، كل ذلك كان يجلبه الشاعر العربي في شعره في تلك الفترة - بعد البارودي، إذ هزت هذه الرياح العاتية القادمة من الخارج ومن الداخل أيضاً وكانت أشبه ما تكون بزوبعة، دارفها الشاعر في حلقة يحركها، فأنت اليقظة إلى العالم الإسلامي، وتحول الشعراء إلى دعاة لها، حتى أولئك الشعراء المادحون، صاروا يمدحون ممدوحهم بهذا التجديد، وكان هذه شكوى لهم.

2.6 العودة إلى التراث:

وهذه العودة إلى التراث تجلّت حين رأى البارودي ضعف الشعر العربي في عهده ولذلك فإن كثيراً من الشعراء بعده عادوا إلى التراث عودة قوية، انطلقوا منها مرة أخرى نحو سماء الإبداع والتألق في كافة الميادين.

3.6 الانفتاح على الثقافة الغربية:

ووسائل هذا الانفتاح متعددة مثل: المذيع، البعثات، الصحف، الانتقال إلى أوروبا فنجد أنّ المثقفين من الشعراء استلهموا هذه الثقافة فكان منهم من انخدع بها ودعا إليها، ومنهم من رفضها رفضاً تاماً، ومنهم من حاول الأخذ منها ولكن باعتدال.

4.4 التواصل مع المذاهب الغربية:

ونتيجة لهذا حدثت هناك خصوصية للشعر، وهي تواصل الأدباء والصحافة مع الثقافة الغربية، فظهرت مدرسة الديوان ثم جماعة (أبولو)، وهناك الصحافة التي ساعدت على ظهور هذه المذاهب، فتبنت الترجمة، بل والنشر لهذه الإبداعات الجديدة وهذه المذاهب الجديدة على الأدب العربي، فأخذ الأدباء يترجمون تلك النماذج كجبران خليل جبران ومطران خليل مطران... وأكثر هؤلاء من اللبنانيين الذين دعوا إلى القومية.

5.6 مناهضة الاستعمار:

لما جاء إلى البلدان العربية، نهض الشعر، وكان له دور فعال في مناهضة الاستعمار والدعوة إلى الجهاد ضد العدو الأجنبي، وحين نعود قليلاً إلى مصر في ذلك الزمان الذي كانت فيه محتلة فإننا نجد شعراً غزيراً وقويماً، بل وهناك شعراء ناصروا الاستعمار كأحمد نسيم، الذي كان يمدح المستعمر بقصائد معتمدة، أما أحمد شوقي فقد التزم الصمت، وكان في بعض الأحيان يمدح مجاملة للخديوي توفيق، والفرق بينه وبين أحمد نسيم هو أنّ أحمد نسيم كان معجباً بالاستعمار

بينما كان شوقي لا يجد فرصة لهجائهم إلا انتهزها ومدحه لهم كان مدهانة للخديوي، لأنه من حاشيته، ولذا فإن أحمد شوقي عندما نفي صرح بهجائهم.

ونجد العالم الإسلامي والعربي شديد المعارضة والمناهضة للاستعمار، ففي العراق ينطلق شعر الرصافي معلنا الثورة على الاستعمار، بينما نجد الزهاوي يميل له بعض الشيء.

6.6 الصراع الفكري:

ظهر حين برزت العوامل السابقة للصراع الفكري، ومن يقرأ شعر شوقي وحافظ ومحرم وغيرهم من شعراء العرب في تلك الحقبة يرى أن شعرهم يمثل الصراع الفكري بجميع ألوانه.

7. رواد مدرسة البعث والإحياء:

هم من اقتضى أثر البارودي؛ بعودتهم إلى مناهل الشعر العربي والبعد عن تقليد الشعر العايب، فقد عادوا إلى اللغة العربية الصافية، والتعبير المشرق بأسلوب فصيح عما في عصرهم، فقد أخذ الشعر يعبر عن العصر الجديد، وينبع من أحاسيسهم، وبرز شعراء كثر مثل (الزهاوي، ابن عثيمين، جبران خليل جبران، مطران خليل مطران، وحافظ، شوقي معروف الرصافي...) وهؤلاء استلهموا فكر الأمة وصراعها الفكري والحربي، وظهرت عندهم التجارب الشعرية الذاتية المتلبسة بالمشاعر الداخلية، واستلهموا أحداث العالم الإسلامي وتحدثوا عن الخلافة، وأغلبهم يؤيدها، ولشوقي ومحمد عبد الله المطلب وحافظ شعر كثير ينادون بها، وفي المقابل كان من هؤلاء من يهجوها كالزهاوي وشعراء النصارى.

يعد شعراء ورواد مدرسة البعث والإحياء شعراء المدرسة الكلاسيكية في الأدب العربي حيث سعوا بشعرهم للنهوض بتقاليد القصيدة العربية القديمة ومن أبرزهم (مدرسة الإحياء سامي البارودي: زينة غنى عبد الحسين الخفاجي، دت):

1.7 محمود سامي البارودي: (1839-1904م):

وهو شركسي ينتمي للمماليك، نشأ يتيماً وعمره سبع (7) سنوات، تعلّم في بيته ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها سنة 1854، ولم يجد عملاً، فعكف على كتب الأدب فقرأها وخاصة في العصور المتقدمة، ثم أخذ يقلّد الشعراء ويعارضهم، بل إنه جمع مختارات من أشعارهم تدل على حسن اختياره وذوقه ورغبته في التجديد، ومع ذلك فهو لم يتعلم العروض ولم يدخل الأزهر، فمثله مثل الشاعر الجاهلي، ثم سافر إلى الأستانة والتحق بوزارة الخارجية وتعلم الفارسية والتركية، ولما تولى إسماعيل الخديوي، ضمّه إلى حاشيته والتحق بالجيش، وترقى في مناصبه وحارب في جزيرة كريت، عين محافظاً على القاهرة ثم وزيراً للأوقاف في عهد توفيق، ثم رئيساً للوزارة، ثم انضم إلى ثورة عرابي فنفي إلى سرنديب وبقى فيها ما يقرب من عشرين عاماً نظم فيها الكثير من شعره (دراسة تاريخية لمحمود سامي البارودي: أحمد خالد عبد المنعم، 2015، ص30).

ومن شواهد:

أبيت في غربة لا النفس راضية بها ولا الملتقى من شيعتي كتب
لكل دمع جرى من مقلة سبب وكيف يملك دمع العين مكتئب
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلماً وأغترب
فلا يظن بي الحساد مندمة فإنني صابر في الله محتسب

(ديوان محمود سامي البارودي: محمود سامي البارودي، 1992، ص59).

عاش محمود سامي البارودي حياته وصولاً في الحرب، ويغني للحب، ويهتف بالحرية...، كما كان بطل من أبطال الجيش، ورائداً من رواد الشعر، وكان كذلك حادياً يحدو مواكب الثورة على الفساد والاستبداد والخيانة والتدخل الأجنبي في شؤون وطنه الخارجية والداخلية (محمود سامي البارودي - نوايغ الفكر العربي : عمر الدسوقي، دت ، ص 24).

" وفي المنفى عاش البارودي الشاعر سبعة عشر عاماً (1883-1900) وظلَّ ينظم شعره في منفاه في الحكمة والزهد والحنين إلى الوطن والأهل، ورثاء من مات من أسرته وفي الحديث عن موقفه الوطني من الأحداث في وطنه قبل الثورة وبعدها وأثناءها" (مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 18).

أما شعر البارودي في الحب فهو شعر تقليدي مصنوع، لم يتم عن تجربة شعرية عميقة، ومع ذلك فهو كثير في ديوانه، وفيه يتحدث البارودي عن ألم الحب وعذابه ولوعته وحرمانه، ويتعجب لقلبه الذي لا يهدأ فيقول:

ما لقلبي من لوعه ليس تهدأ أو لم يكف أنه ذات وجد
وسميتي بناها الغيد حتى تركتني في عالم الحب فردا

(مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 18).

وهكذا مضى البارودي يتحدث في شعره عن الحب والمرأة والجمال، وهو في عصر شبابه وحرية، وهو الوطني الصادق في وطنيته، والمصري الصميم في مصريته، فانقلب ثائراً متحمساً لكل وطنية، يفنديه بروحه ومهجته، وصور مختلف مظاهر ثورته في شعره وهو شعر أصيل عميق في نفس الشاعر يرفع من مكانته، وبهذا كان البارودي الشاعر القومي والوطني الأول في العصر الحديث، ونادى البارودي بوجوب الثورة على الظلم والفساد، فقال:

إذا المرء لم يدفع يدا الجور إن سقطت عليه فلا يأنف إذا ضاع مجده
ويقتل داء رؤية العين ظالماً سيء ويتلى في المحافل حمده

(مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 21).

ورأى أن الذل والرضا بالظلم، والركون إلى الآمال الكاذبة، عار على الإنسان الماجد النبيل، ودعا الشعب إلى أن يهب للمطالبة بحقوقه في الحرية والكرامة والعدالة، فقال:

فطالبوا بحقوقٍ أصبحت غرضاً لكل منتزع سهما ومختل
لا تتركوا الجد أو يبدو اليقين لكم فالجد مفتاح باب المطلب العُضل

(مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 21).

وقد حلق الشاعر البارودي في وصف المعارك وفي الشكوى والحنين إلى الوطن وفي مواقف الأبطال المعلمين، يقول عنه أحد أعلام شعر البطولة والصمود والعزة، مما يطمح في مثله إلا الحديث، هو أول من ردّ الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين وما أعلى قريضه على قريض شعراء جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعداً إلى عهد رقي أزمنة العرب.

يقول عبد الرحمان الرافي: "محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة وباكورة الأحكام في دولة الشعر الحديث، وأول من نهض به وبارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدتها بعد طول الخمود..." (شعراء الوطنية في مصر: عبد الرحمان الرافي، 1966، ص 25).

وعند قراءة موسوعة الثقافة العربية الإسلامية لـ "شوقي ضيف" كتابه الموسوم " البارودي رائد الشعر الحديث " الذي يقول في مقدمته: "نشأ محمود سامي البارودي في عصر انقطعت فيه الصلة بين الشعراء في جميع الأقطار العربية وأسلافهم القدماء انقطاعاً أخلى أشعارهم من كل وراء، فإذا هي لغو ومن القول وما يشبه اللغو... وقد رأيت أن أفر بهذا الشاعر المبدع الذي يعد أباً للشعر الحديث..." (البارودي رائد الشعر الحديث : شوقي ضيف، دت ، ص 65).

ومن خصائص شعره:

- اتخذ الأسلوب المحافظ المشرق منهجا له.
 - المعاني والأغراض مستمدة من روح العصر الذي عاش فيه والأحداث المعاصرة، وقد تنوعت موضوعات الشعر عنده وتحدث عن القضايا الوطنية.
 - الصورة والأخيلة مستمدة من التراث.
 - نأى بشعره عن المحسنات البديعية والتلاعب بالألفاظ والسرقات وعن الأحاجي.
 - اعتمد على اللفظة القريبة السهلة التناول.
 - رجع بالشعر إلى إشرافه وحسنه وجماله الفني.
 - كما امتاز بأنه يأتي باللفظة المناسبة للمعنى.
- 2.7 أحمد شوقي: (1868-1932م):

شاعر الأمة العربية والإسلامية ولقب بأمير الشعراء، جمع شعره ومسرحياته في عشر مجلدات. بعد وفاة البارودي أحدثت أعمال أحمد شوقي حركة نشيطة بين النقاد والدارسين حيث كانت مصر إبان تلك الفترة في حكم إسماعيل تسعى إلى يقظة شاملة (شعر أحمد شوقي الغنائي والمسرحي: وادي طه، 1983، ص 07). إذن فقد تناول شوقي كثيرا من الأغراض الشعرية التقليدية منها:

أ- المدح:

لم يكن الشاعر من عشاق المديح، بل كان يأسف للشعراء الذين يتخذون المدح وسيلة للتكسب يقول في مدح الملك فؤاد:

فعجل يا ابن إسماعيل عجل وهات النور واهد الحائرنا
هو المصباح فأت به واخرج من الكهف السواد الغافلينا
ملايين تجر الجهل قيذاً وتسحب بالقليل المطلقينا

(الشوقيات: أحمد شوقي، 2012، ص 145).

فكما نلاحظ أن مدحه قد تخلى عن الطريقة الكلاسيكية، إذ اتجه إلى النصيح والإرشاد للممدوح داعياً إيّاه إلى بناء المدارس والاهتمام بالنشء وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

كما خصّص أيضا في هذا الغرض نصيبا كبيرا في مدح خير الأنام محمد -صلى الله عليه وسلم- فعارض البوصيري في همزته الشهيرة وفي قصيدة البردة فأنشأ على غرار الأولى قصيدة من بحر الكامل يقول فيها

ولد الهدى فالكائنات ضياءً وفم الزمان تبسّمُ وسنَاءُ
الروح والملائكة حوله للدين والدنيا به بُشْرَاءُ
والعرشُ يزهو والخضرة تزدهي والمنتهى والسدرَةُ العصماءُ
وحديقة الفرقان ضاحكة الرُّبَا بالترجمان شذية غنَاءُ

(الشوقيات: أحمد شوقي، 2012، ص 41).

وأنشأ على نهج البردة قائلاً:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم
رمي القضاء بعيني جوذراً أسداً يا سكن القاع أدرك ساكن الأجم

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها في خير عافية والنفس من شرّها في مرتع وخم

(الشوقيات: أحمد شوقي، 2012، ص 145).

ب- الوصف:

من الطبيعي أنّ أحمد شوقي بوصفه شاعراً وجدانياً أن ينفعل ويتأثر بما شاهد من حوله في مصر أو في رحلاته خارج مصر فيتغنّى بكلّ ما رآه ويصفه، فجاء وصفه الفنيّ حسياً بعيداً نوعاً ما عن الوصف الرومانسي الذي يخلع على المرثيات أحاسيسه وعواطفه وهو بهذا العمل الشعري يكون قد سلك المنهج التقليدي " وإذا كانت هناك عناصر معنوية تتخلل وصف شوقي فهي عناصر أخلاقية عامة أو سياسية أو اجتماعية، ونكاد لا نستثني من ذلك غير قصيدته في زحلة التي مزج فيها الوصف بأحاسيسه الخاصة".
يقول في قصيدته زحلة:

يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى والذكريات صدى السنين الحاي
ولقد مررتُ على الرياض بربوة غنّاء كنت حيالها ألقاك
ضحكت إليّ وجهها وعيونها ووجدت في أنفاسها ريك
أذكرت هرولة الصبابة والهوى لما خطرت يقبلان خطاهك
لم أدر ما طيب العناق على الهوى حتى ترقق ساعدي فتواك

(ديوان أحمد شوقي: أحمد شوقي، 1981، ص 275).

فالشاعر كما تلاحظ في هذه المقطوعة، مزج وصفه بأحاسيسه الخاصة فجاءت نغمات ذاتية شجية، فيها من الرومانسية الصارخة التي تحكي عن شباب انفلت ولم يستطع إرجاعه، لأن قطار العمر قد غادر المحطة إلى محطات أخرى.
ج- الرثاء:

كثرت المرثي في شعر أحمد شوقي، وفيها تناول رثاء الأفراد والممالك وهو في رثائه لا يهتم بالعويل والبكاء على الميت، ولا يرسم صورة للفقيد بالقدر الذي يهتم فيه بالإطار الذي يحيط بالمرثي، وقد يخرج من الحديث عن من يرثيه إلى موضوعات اجتماعية أو سياسية.
يقول في رثاء الإمام محمد عبده:

مفسر أي الله بالأمس بيننا قم اليوم فير للورى آية الموت
رحمت مصير العالمين كما ترى وكلّ هناء أو غزاء إلى قوت
هو الدهر ميلاد فشغلّ فمأتمّ فذكر كما أبقى الصدى ذاهب الصوت

(ديوان أحمد شوقي: أحمد شوقي، 1981، ص 640).

ينتهب في هذه الأبيات الفرصة ليتخذ من رثاء الشيخ محمد عبده فرصة للوعظ والإرشاد ودعوة إلى التأمل في الحياة وفي المآل الذي سيؤول إليه الإنسان، كما يشير إلى أنّ ما يبقى للإنسان هو الذكر الطيب، وتقريباً هذا هو أدب أحمد شوقي في مرثيه، التي حاول أن يربطها بنزعتة القومية، فقد رثى البطل الليبي عمر المختار ورثى الخلافة الإسلامية التي سقطت حين أعلن مصطفى كمال أتاتورك قيام الجمهورية التركية ورثى دمشق حين تعرضت للخراب و الدمار على يد الفرنسيين.

د- الغزل:

يتفق معظم الدارسين للتجربة الشعرية عند أحمد شوقي أن غزله تقليدي متكلف ولعلّ سبب ذلك يعود إلى عاملين:

- أحدهما أن أحمد شوقي لم يذق الحرمان العاطفي الذي يدفع الشعراء إلى التوجع والأنين.
 - ثانيهما وهو الأهم أن علاقته بالقصر كانت تفرض عليه الظهور بشخصية زينة محترمة، يحتم عليه المقام عدم الخوض في مثل هذه الأغراض التي ربّما قد تسيء إلى سمعة الرجل المحترم.
- يقول في إحدى قصائده:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء
أتراها تناست اسمي لما كثرت في غرامها الأسماء
إن رأيتني تميل كأن لم تك بيني وبينها الأشياء
نظرة فابتسامة فسلام فكلام فمـوعـد فلقاء

(ديوان أحمد شوقي: أحمد شوقي، 1981، ص 640).

وإذا كان شوقي يحاكي في غزله القدامى من الشعراء العرب ويعارضهم أحيانا فإنه ينظم غزله لا رغبة في التعبير عن عواطف مشبوهة، لكن ليتغنى به في الحفلات ليس إلا.

لم يشهد الشعر الحر الحديث مجد كالمجد الذي عاش فيه على يد أمير شعرائه أحمد شوقي، لقد حمل الشعر أربعين عاما وبدأ ينظم الشعر وهو في الرابعة عشر من عمره، كما أنه نهل من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحري والمنتبي، وجمع بين أغراض القدامى وتجديدات المحدثين وموسيقى المعاصرين، وأجاد في وصف الطبيعة، وبلغ في عذوبة اللفظ وسهولة الأسلوب ما لم يبلغ أحد من شعراء المدرسة المصرية الحديثة، وكانت رسالة شوقي الأولى الغناء بمجد مصر وبتاريخ العرب والإسلام، وكان شعره دليلا قويا على قدرة العربية على استيعاب المعاني العصرية في أسلوب كلاسيكي حر، يمرح فيه الخيال، وتخطر فيه الموسيقى، وتتألف فيه المعاني والصور الفاتنة الجميلة، وكان شوقي دائما الشاعر العبقرى كما وصفه الزيات" (مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 31).

وبعد عودته من المنفى شارك الشعب آلامه وآماله وبلغ بذلك شعره أقصى من الذيوع إذ صار لسان الجماهير وشدا به في كل محفل، وكان ميلاده سنة 1868م، وتوفي سنة 1930م، وهو من أبرز شعراء العصر الحديث (مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 33-35).

ومن خصائص شعره:

لديه الريادة في النهضة الأدبية والفنية والسياسية والاجتماعية والمسرحية التي مرت بها مصر، أما في مجال الشعر فهذا التجديد واضح في معظم قصائده التي قالها، ومن يراجع ذلك في ديوانه الشوقيات لا يفوته تلمس بروز هذه النهضة؛ فهذا الديوان الذي يقع في أربعة أجزاء يشتمل على منظوماته الشعرية، وفي مقدمته سيرة لحياة الشاعر وهذه القصائد التي احتواها الديوان تشمل على المديح والرثاء، والأناشيد والحكايات والوطنية والدين والحكمة والتعليم والسياسة والمسرح والوصف والمدح والاجتماع والأغراض عامة (مدارس الشعر الحديث : محمد عبد المنعم خفاجي، 2004، ص 81-82).

نظم شوقي الشعر في عدة مجالات مختلفة ومتنوعة، حيث كتب الشعر السياسي والوطني، بالإضافة إلى شعر الرثاء، والمدح، والغزل، والوصف، والحكمة، وقد أبدع شوقي في نظمه حتى صعد إلى القمة، من خلال شعره كان يعكس

الشاعر أحمد شوقي ما في نفسه من حب للوطن، والدين، والحياة، والحرية، وقد جاء متمسماً بقوة العاطفة، وسعة الخيال وسلاسة الألفاظ وعذوبتها، وقوة التراكيب (العربة والحنين في شعر أحمد شوقي: نضال العمالي، 2005 ص 21-22). لقد كان الشاعر يملك نصيباً كبيراً من الثقافتين العربية والغربية، كما أفادته سفراته إلى مدن الشرق والغرب، كما يتميز أسلوبه بالاعتناء بالإطار وبعض الصور وفكاره التي يتناولها ويستوحىها من الأحداث السياسية والاجتماعية، وأهم ما جاء في المراثي وعرف عنه المغالاة في تصوير الفواجع مع قلة العاطفة وقلة الحزن، كما عرف أسلوبه بتقليد الشعراء القدامى من العرب وخصوصاً في الغزل، كما ضمن مواضيعه الفخر والخمرة والوصف وهو يملك خيالاً خصباً وروعة ابتكار ودقة في الطرح وبلاغة في الإيجاز وقوة إحساس وصدقاً في العاطفة وعمقا في المشاعر.

قال أحمد شوقي في الخلافة العثمانية (1238هـ-1910م):

صَدَقُوا الخَلِيفَةَ طَاعَةً وَمَحَبَّةً تَمَسَّكُوا بالطُّهْرِ من أذْيَالِهِ
يَجِدُونَ دَوْلَتَكَ الَّتِي سَعِدُوا بِهَا من رَحْمَةِ المَوْلَى ومن إِفْضَالِهِ
جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِينَ) بِسِيرَةٍ نَسَجَ (الرَّشَاد) لَهَا على منوالِهِ
بُنِيَتْ على الشُّورَى كصَالِحِ حُكْمِهِمْ وعلى حَيَاةِ الرَّأْيِ واستقلالِهِ
حَقٌّ أَعَزَّبَكَ المِهْمِمْ نَصْرَهُ والحَقُّ مَنْصُورٌ على خُدَّالِهِ
شَرُّ الحُكُومَةِ أن يُسَاسَ بِوَاوِدٍ في المُلْكِ أَقْوَامٌ عِدَادُ رِمَالِهِ

(ديوان أحمد شوقي: أحمد شوقي، 1981، ص 299).

8. الخاتمة:

تطرقت هذه الدروس إلى موضوع الشعر العربي الحديث والمعاصر الذي اهتم بموضوع مرحلة الإحياء وأهم المدارس الأدبية في الشعر العربي الحديث، حيث كان الشعر العربي قبل عصر النهضة كالجسد الهامد فهض به اتباع هذه المرحلة وأعادوه من الضعف إلى القوة والتجديد، ومن خصائص هذه المدرسة وميزاتها أنها تتمتع بعدد من السمات العامة بالإضافة إلى السمات الفنية الخاصة التي ينفرد بها كل شاعر عن الآخر حيث قامت بالحفاظ على النهج العربي القديم في بناء القصيدة العربية والتقيد بالبحور الشعرية والنظم في الأغراض الشعرية التي نظمها الشعراء في العصرين العباسي والأموي وافتتاح القصيدة بالغزل كالذي سار عليه شعراء العصر الجاهلي وقاموا باستحداث أغراض شعرية جديدة كالشعر الوطني والاجتماعي والمسرحي ومن أهم روادها شعراء المدرسة الكلاسيكية الذين سعوا بشعرهم للنهوض بتقليد القصيدة القديمة، أبرزهم أحمد شوقي الذي سميت على يده المدرسة الكلاسيكية الجديدة وحافظ إبراهيم ومحمد مهدي الجواهري وغيرهم.

ثم ظهر بعد ذلك ما عرف بالمدارس الأدبية، ومنها المدرسة الرومانسية وهي إحدى المدارس الأدبية الحديثة في الفن والأدب جاءت مركزة على العاطفة والخيال بعيدة عن المنطق والعقل.

وبعدها ظهرت المدرسة الواقعية، التي حاكت الواقع واستمدت منه خصائصها وميزاتها، واعتبرته مصدر إلهام لها. وتلى ذلك ظهور الاتجاه الرمزي الذي اتخذ من الرمز ومن الطبيعة مورد إبداعه وتطوره، ومهد لظهور ما عرف بعدة تسميات منها، الشعر المعاصر- الشعر الحر- قصيدة النثر- الشعر النثري... إلخ.

9. قائمة المراجع:

- البارودي، محمود سامي، 1992، ديوانه، بيروت، لبنان، دار العودة.
- الحاني، ناصر، 1968، المصطلح في الأدب الغربي، صيدا، بيروت، منشورات المكتبة العصرية.
- حماني، محمد، دت، مقارنة بين خصائص مدرستي البعث والإحياء والرومانسية، حوارات أدبية.

- خفاجي، محمد عبد المنعم، 2004، مدارس الشعر الحديث، الإسكندرية، دار الوفاء.
- الدسوقي، عمر، دت، محمود سامي البارودي - نوايغ الفكر العربي، مصر، دار المعرف.
- الرافي، عبد الرحمان، 1966، شعراء الوطنية في مصر، ط2..
- الشامي، صالح بن أحمد، دت، من مدارس الرسم ومذاهبه - فن البلاط-، مقالات مختلفة.
- شوقي، أحمد، 1981، ديوانه، توتب وشروع: أحمد محمد الحوفي القاهرة، مكتبة نهضة مصر الفجالة.
- شوقي، أحمد، 2012، الشوقيات، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- ضيف، شوقي، دت، البارودي رائد الشعر الحديث..، مصر، ط1، دار المعارف.
- طه، وادي، 1983، شعر أحمد شوقي الغنائي والمسرحي، ط3 دار المعرف.
- عبد الحسين الخفاجي، زينة غنى، دت، مدرسة الإحياء سامي البارودي، محاضرة، قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية.
- عبد المنعم، أحمد خالد، 2015، دراسة تاريخية لمحمود سامي البارودي، ط1.
- عصفور، جابر، 1975، حركات التجديد في الأدب العربي مصر، دار الثقافة.
- العطوي، مسعد بن عيد، 2009، الأدب العربي الحديث، ط1 مكتبة الملك فهد.
- العماوي، نضال، 2005، الغربية والحنين في شعر أحمد شوقي غزة، الجامعة الإسلامية.